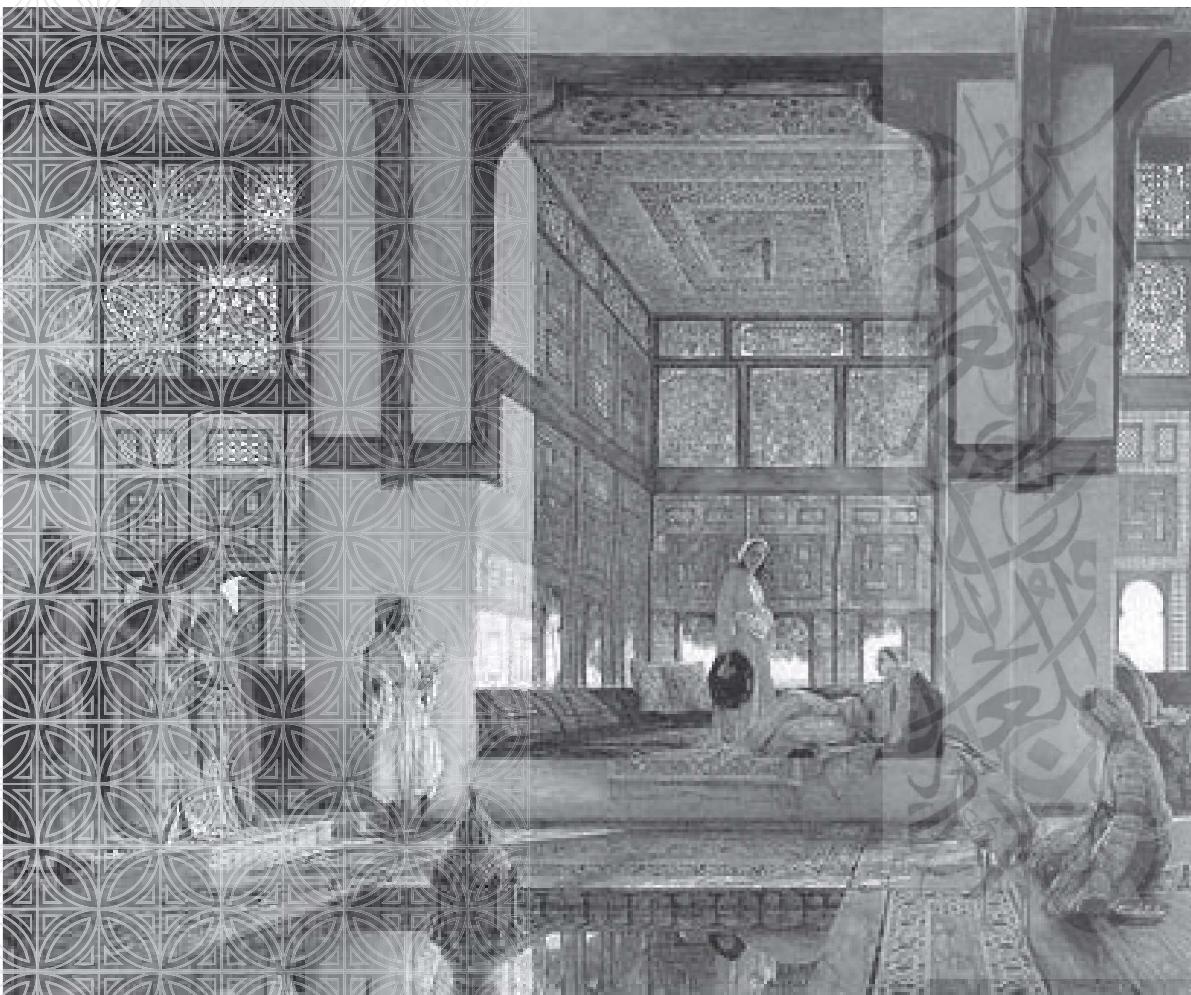


1

## الفصل



**بيئات الشعر الأموي**

## الفصل الاول بيئات الشعر الاموي

اتسعت الدولة في العصر الاموي بعد ان امتدت الفتوحات ودخل في الدولة العربية الاسلامية ابناء الشعوب المجاورة وحدث من الامتزاج الحضاري والتنوع في الدولة العربية ما جعلها ذات بيئات متنوعة ، فلم يعد الشعر بخاصة والادب بعمادة كما كان في بدايات الاسلام وقبله في الجاهلية ذا طابع موحد متشابه في اغلب اتجاهاته بل طرأ تغييرات جمة جعلت لكل بيئة سماتها المغایرة لسوها من البيئات ولذلك سناحوا ان نعرض لهم تلك البيئات.

### 1- بيئه الحجاز:

مما لاشك فيه ان مكة والمدينة كانتا المركز الدينى الاهم في العالم الاسلامي لما تتمتعان به من قداسة منذ بعثة المصطفى الامين (عليه السلام) فقد كانت المدينتان موئل انظار المسلمين ومهموى افئتهم لاحتضانهما بيت الله العتيق ومسجد الرسول الاعظم ومرقدة الشريف ، وعلى الرغم من تحول عاصمة الخلافة عن المدينة المنورة الا ان ذلك لم يقلل اطلاقا من مكانة مكة والمدينة الدينية ، فعلى الرغم من تعرضهما لبعض الهزات التي اثرت عليهما اجتماعيا وسياسيا في بداية الدولة الاموية وبخاصة في موقعة الحرقة ومحاصرة ابن الزبير اللتين افقدتا المدينة ومكة اعدادا كبيرة من سكانها و ثرواتها وعلى الرغم من ان الثراء شمل مناحي الدولة بأكملها بعد الفتوحات الاسلامية وكان لمدن الحجاز القدح المعلى بذلك بوصفها المدن التي ضمت اوائل المسلمين من الفاتحين فضلا على ان الكثير من الناس هاجروا الى مدن الحجاز اما لأسباب دينية ليكونوا قريين من الديار المقدسة او لا سباب اقتصادية بوصفها مراكز حضارية واقتصادية في العالم الاسلامي كما كانت مركزا ثقافيا يضم الصحابة وابناءهم والعلماء الذين نهلوا الحديث من منبعه وشربوا القران الكريم فكانوا محطة انتظار طلبة العلم والباحثين عن المعرفة.

ولعل من الامور التي اثارت جدلا واسعا بين الدارسين والباحثين مسألة شیوع الغناء في هاتين المدينتين حتى تقاد تجمع الدراسات التي تناولت الشعر الاموي ان هاتين المدينتين اصبحتا مركزا للغناء والموسيقى والله البريء وشغلتا به عن السياسة وغيرها لانغمس الناس بمباهج الحياة ولذاتها وقد اعتمدت الدراسات في جل آرائها على ما ورد في الاغاني لابي الفرج الاصفهاني الذي يبالغ كثيرا في روایاته عن موقف اهل مكة والمدينة من الانفتاح الحضاري والغناء فقد ذكر مثلا ان ( عبد الله بن عمر العمري قال : خرجت حاجا فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام أرفشت فيه فأدنیت ناقتي منها ثم قلت لها: يا أمة الله المست حاجة اما تخافين الله؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسنا ثم قالت : تأمل يا عم فأنني ممن عنده العرجي بقوله:

وادنت على الخدين بردا مهلهلا

أماتت كساء الخز عن حر وجهها

ولكن ليقتلن البريء المخفلا

من اللائي لم يحججن يبغين حسبة

قال فقلت لها: فأني اسأل الله ان لا يعذب هذا الوجه بالنار، قال فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : اما والله لو كان من بعض بغضاء اهل العراق لقال لها اعزبي قبحك الله، ولكنه ظرف عباد اهل الحجاز<sup>1</sup>.

كما يورد في الاغاني عشرات الروايات التي تشير الى استماع التابعين وعباد المدينة ومكة وعلمائها وابناء الانصار والمهاجرين للغناء وانفاق الاموال الطائلة عليه بل يضيف الى ذلك القول ان ابن سريح اذا غنى على طريق الحاج وقف الركب يستمعون اليه حتى لتدخل المحامل مع بعضها<sup>2</sup>. ونقلوا ان النعمان بن بشير الانصاري والي يزيد بن معاوية على المدينة كان محبـا للغناء طالبا له اذ يروي انه اشتق يوما الى الغناء فقال(والله لقد اخافتـت اذنـاي من الغـناء فـاسمـعونـي فـوصـفتـ له المـعنيـة عـزةـ المـيلـاء فـطلـبـها فـاعتـذرـتـ منهـ لـكـبـرـ سنـهاـ وـلـشـدـةـ حـبـهـ لـلـغـنـاءـ تـوجـهـ الىـ دـارـهـاـ فـغـنـتـهـ عـدـةـ اـغاـنـ) وـرـوـواـ انـ عـاـمـلـ المـديـنـةـ لـعـبـدـ الـمـلـكـ وـهـ اـبـانـ بـنـ عـثـمـانـ لـمـاـ

1 404\_ الاغاني 1/403

2 1/99 نفسه

تولاهما خرج اليه اشرافها ووجهاوها وفيهم المغني طويس فقال طويس لأنّا (لقد  
اعطيت الله عهداً لئن رأيتكم أميراً لأخضبن يدي الى المرففين واشدو بالدف بين  
يديك ثم غناه<sup>3</sup>).

لقد قادت هذه الروايات ومثيلاتها الكثير في الاغاني الدارسين المحدثين الى  
الاعتقاد بعدم تحرج علماء الحجاز وعبادها من الغناء مما دفع طه حسين الى  
القول (رضي الفقهاء كثيراً او قليلاً عن ظرف ابن أبي ربيعة وعبث العربي ومجون  
ابن أبي عتيق....ومصدر ذلك ان شباب الحجاز كانوا يلهون وكانت مكانته الدينية  
والاجتماعية...يعصمانه من تجاوز الحدود)<sup>4</sup>

اما د. محمد نجيب البهبيتي فيقول (كان علماء الدين في الحجاز يقبلون على  
هذه الموسيقى ويحبونها ويوقفون دروسهم لسماعها، وكأنهم يرون في ادراك هذا  
الجمال وفي الاستمتاع به معنى من ادراك جمال الله لا يتعارض مع الدين اي تعارض  
هذا في الوقت الذي كان فيه العراق يتخرج من سماع الغناء وينكره)<sup>5</sup> ولم يكن هذا  
رأي البهبيتي وحده بل ثلة من المحدثين منهم الرافعي وعشرات الدراسات الاخرى.

لقد كان اكثر من توسع في الامر د. شوقي ضيف فقد تحدث طويلاً عن عن  
التراث الطائلة التي اصبحت بيد ابناء الصحابة بعد الفتوحات وتوسيع الدولة زمن  
الامويين (وطبيعي ان يكثر في هذا المجتمع المتحضر المترف الشباب العاطل  
الذى يريد ان يقطع اوقات فراغه في لهو بريء، وسرعان ما قدم له الرقيق الاجنبي ما  
يريد من هذا اللهو اذ عني بالغناء عنانية باللغة)<sup>6</sup>، ويضيف قائلاً (وسرعان ما وجدت  
في مكة والمدينة هذه الطبقة العاطلة التي توجد في الامة حين تحضر فقد فرغ  
كثير من الشباب واتتهم الدنيا بحذافيرها فماذا يصنعون بأوقاتهم وكيف يمضونها،  
ان طائفة منهم عنيت بالدرس الديني في المساجد ولكن بقيت طائفة تريد اللهو

3 للتفصيل في ذلك ينظر مجالس الادب والغناء في العصر الاموي: 23 وما بعدها

4 حديث الاربعاء .242

5 تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري 121

6 العصر الاسلامي 140

والمتعة بالحياة وهنا نجد هذا الرقيق الاجنبي ينهض بفن كان معروفا بالجاهلية ... وهو فن الغناء<sup>7</sup>.

وحيث يتحدث عن الشعر في هذه الفترة يردد قائلاً ( ان هذه البيئة من بيئات الشعر في عصربني امية قد اتضحت لنا فهي من ناحية بيئه تحضرت واترف ذوقها واصبح اهلها يمثلون رقة في الشعور ورقة في الحس لم تكن لآبائهم لسبب طبيعي انهم ابناء حضارة جديدة وعصر جديد ... وطبعي ان ينفصل شعر هذه البيئة المتحضرة عن الشعر الجاهلي فكل من يتبع درس شعر الحجازيين لهذا العصر يلاحظ ان الهجاء يقل فيه قلة شديدة كما يلاحظ ان المديح لم يعد اللون الصارخ في الشعر فان اكثر الحجازيين لم يكونوا بحاجة للتكتسب بشعرهم انما اللون الذي يستند لهم هو الغزل وهو لون يتلاءم مع رقة الحس ورقة الشعور وايضاً فانه يتلاءم مع فن الغناء الجديد<sup>8</sup>.

لقد تابعت جل الدراسات التي تناولت الشعر الاموي هذه الآراء مؤيدة القول بانتشار الغناء في مكة والمدينة الى الحد الذي اصبح هو الاتجاه السائد وبالغ بعضهم حتى اوشك ان يجعل من القرن الثاني الهجري صورة من صور عصرنا وحاول هؤلاء واولئك تعليل هذا التحرر فربطوا بينه وبين التاريخ الاجتماعي لتلك المدن فقد تدفقت فيه تيارات حضارية شتى وظلت تتدفق عليه انواع السيايا والجواري الاجنبية طوال زمن الفتوحات الاسلامية وكن من اجناس شتى حملن معهن مواهبيهن وتقاليد قومهن وكانت الاموال تتدفق على هذه المدن بل ان الامويين كانوا حريصين على ان تصل اموالهم الى هذه المدن وانصرف اهلها الى التجارة بعد ان حيل بينهم وبين السياسة ينمون ثراءهم التليد الذي ورثوه عن آبائهم بثرائهم الطارف على حد تعبير يوسف خليف وارتفعت موجة اللهو والغناء في هذه المدن<sup>9</sup>.

7 التطور والتجدد في العصر الاموي 27 وقد فصل القول في الغناء واسباب ظهوره وانواعه في كتابه الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصربني امية

8 التطور والتجدد في الشعر الاموي 28 وينظر في الشعر الاموي دراسة في البيئات

9 المرأة في الشعر الاموي 71

حاولت دراسات اخرى الرد على احاديث تفسيي الغناء في مكة والمدينة وانتشار اللهو والغزل والمجون في العصر الاموي ، ولعل من اهمها دراسة د. عبد الله بن سالم الخلف الموسومة (مجتمع الحجاز في العصر الاموي بين الآثار الادبية والمصادر التاريخية) ولقد حاول الرد على مسلمات سابقه عن ابعاد الحجازيين عن المشاركة السياسية واشغلوهم بالأموال لصرف نظرهم عن الخلافة فغرقوا في الملذات والغزل والغناء والسفور ، وقد تمثلت أبرز ردوده بما ياتي:

1- مدح القرآن الكريم المهاجرين والانصار وأثنى عليهم وعلى ابنائهم قال تعالى:  
﴿لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَعَوَّنُ فَضْلًا مِنْ أَنَّ اللَّهَ وَرِضَوْنَا وَنَصَرُونَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ﴾ [سورة الحشر، آية 8]

وقوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبَعُوهُمْ يَإِحْسَنُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَاعْدَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبه، آية 100]

ويقول الرسول الاعظم محمد (عليه السلام) ((اللهم اغفر للأنصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار))<sup>10</sup> مما يدل على مدح الرسول الاعظم لهذا الجيل الذي كان يعيش في مكة في ذلك الوقت.

2- عللت الدراسات السابقة اشغال ابناء الصحابة بالترف والغناء و الرقص في مكة والمدينة بعدم مشاركتهم في الحياة السياسية وتراثهم الفاحش معتمدين على كتاب الاغاني وكتاب الاغاني كتاب لا يمكن الاعتماد عليه واخذ ما فيه بوصفه مسلمات فالكثير من روایاته اخبارية لم تخضع للتدعیق والتتحیص والتثبت ، فضلا على ان الكتاب يدرس مجتمع الغناء واللهو ولا يمكن تعميمه على المدينة و مكة بأكملها

10 صحيح مسلم الحديث 1948

11 مجتمع الحجاز في العصر الاموي بين الآثار الادبية والمصادر التاريخية ، وينظر عرض لكتاب على موقع منتديات احباب طيبة في شبكة المعلومات العالمية .